فی رحاب اهل بیت (ع): جزئیه البسمله من القرآن و حکمها فی الصلاه

کلمه المجمع

إنّ تراث أهل البيت (عليهم السلام) الذى اختزنته مدرستهم وحفظه من الضياع أتباعهم يعبّر عن مدرسة جامعة لشتى فروع المعرفة الإسلامية. وقد استطاعت هذه المدرسة أن تربّى النفوس المستعدة للاغتراف من هذا المعين، وتقدّم للأُمة الإسلامية كبار العلماء المحتذين لخُطى أهل‌البيت (عليهم السلام) الرسالية، مستوعبين إثارات وأسئلة شتى المذاهب والاتجاهات الفكرية من داخل الحاضرة الإسلامية وخارجها، مقدّمين لها أمتن الأجوبة والحلول على مدى القرون المتتالية.

وقد بادر المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) ـ منطلقاً من مسؤولياته التى أخذها على عاتقه ـ للدفاع عن حريم الرسالة وحقائقها التى ضبّب عليها أرباب الفرق والمذاهب وأصحاب الاتجاهات المناوئة للإسلام، مقتفياً خطى أهل‌البيت (عليهم السلام) وأتباع مدرستهم الرشيدة التى حرصت فى الرد على التحديات المستمرة، وحاولت أن تبقى على الدوام فى خطّ المواجهة وبالمستوى المطلوب فى كلّ عصر.

إنّ التجارب التى تختزنها كتب علماء مدرسة أهل‌البيت (عليهم السلام) فى هذا المضمار فريدة فى نوعها ؛ لأنها ذات رصيد علمى يحتكم الى العقل والبرهان ويتجنّب الهوى والتعصب المذموم، ويخاطب العلماء والمفكرين من ذوى الاختصاص خطاباً يستسيغه العقل وتتقبله الفطرة السليمة.

وقد جاءت محاولة المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام) لتقدم لطلاّب الحقيقة مرحلة جديدة من هذه التجارب الغنيّة فى باب الحوار والسؤال والرد على الشبهات ـ التى أُثيرت فى عصور سابقة أو تثار اليوم ولا سيّما بدعم من بعض الدوائر الحاقدة على الإسلام والمسلمين من خلال شبكات الانترنيت وغيرها ـ متجنّبة الإثارات المذمومة وحريصة على استثارة العقول

المفكرة والنفوس الطالبة للحق، لتنفتح على الحقائق التى تقدّمها مدرسة أهل البيت الرسالية للعالم أجمع، فى عصر تتكامل فيه العقول وتتواصل النفوس والأرواح بشكل سريع وفريد.

والجدير بالذكر إنّ هذا الأثر (جزئية البسملة من القرآن وحكمها فى الصلاة) قد تمّ تحريره فى الطبعات السابقة بقلم الأخ العزيز السيّد عبدالرحيم الموسوى، بعدما اعدّت فى لجنة خاصة من مجموعة الأفاضل.

ونظراً لإكتشاف بعض النواقص فيه، قامت الهيئة العلمية أيضاً بمراجعته ثانية تحت أشراف لجنة الكتاب فى المجمع، وبعد التدقيق وحذف وإضافة بعض المطالب، أُعدّ للطباعة من جديد بقلم الأخ الفاضل محمّد العبادى؛ وذلک تتميماً للفائدة.

ومن هنا نشكر كلّ مَن ساهم فى هذا الأثر، ونرجو له من العلىّ القدير أجراً وافراً.

المجمع العالمى لأهل البيت (عليهم السلام)

المعاونية الثقافية

جزئيه البسمله من القرآن و حكمها فى الصلاه

من جملة ما ظهر الخلاف فيه بين المذاهب الإسلامية مسألة البسملة، هل هى آية من سورة الحمد؟ أو من كلّ سورة؟ أم أنها ليست بآية لا من الحمد ولا من باقى السور ؟

وتبعاً لذلک ظهر الخلاف فيحكمها فى الصلاة أثناء أداء القراءة، كما ظهر الخلاف فى كيفية قراءتها، هل تقرأ جهراً أم إخفاتاً؟ وقد تكفّل هذا البحث ببيان الحقيقة فى هذه المسألة والفروع المتعلقة بها اعتماداً على مصادر المذاهب الأربعة بالدرجة الأُولى.

ولعلّ أهم ماسيطرق ذهن القارئ هى ما كشفت عنه الحقائق التاريخية من أنّ منشأ الخلاف فى هذه المسألة لا علاقة له بالصحابة ولا بالفقه والاجتهاد والمذاهب ، وإنّما هى أُحدوثة شاء معاوية أن يحدثها فى شريعة المسلمين وعباداتهم خلافاً لسيرة النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) وعمل الصحابة وكان من شأن السياسة أن تؤثر فى المذاهب، فتجد هذه الأُحدوثة من يمنحها توجيهاً ، ويلتمس لها دليلاً، وينتحل لها نوعاً من المقبولية1.

1البحث مستفاد بنحو أساس من كتاب البيان فى تفسير القرآن لآية اللّه السيّد الخوئى: 438 ـ 448؛ وكتاب القرآن الكريم وروايات المدرستين للعلاّمة السيّد مرتضى العسكرى 2 : 37 ـ 67.

البسمله آيه من كل سوره

اتفقت الشيعة الإمامية على أنّ البسملة آية من كلّ سورة بُدِئَت بها، وذهب إليه ابن عبّاس، وابن المبارک، وأهل مكّة كابن كثير، وأهل الكوفة كعاصم، والكسائى، وغيرهما سوى حمزة. وذهب إليه أيضاً غالب أصحاب الشافعى1 وجزم به قرّاء مكّة والكوفة2، وحكى هذا القول عن بن عمر، وابن الزبير وأبى هريرة، وعطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهرى، وأحمد بن حنبل فى رواية عنه، وإسحاق بن راهويه وأبى عبيد القاسم ابن سلاّم3. وعن البيهقى نقل هذا القول عن الثورى ومحمّد بن كعب4، واختاره الرازى فى تفسيره، ونسبه إلى قرّاء مكّة والكوفة وأكثر فقهاء الحجاز، وإلى ابن المبارک والثورى، فقد قال الرازى : إنّ النقل المتواتر، ثابت بأنّ «بسم اللّه...» كلام أنزله اللّه على محمّد (صلّى اللّه عليه و آله) وبأنّه مثبت فيالمصحف بخطّ القرآن»5 . وقال: وكل ما ليس من القرآن6 غير مكتوب بخطّ القرآن، ألا ترى أنّهم منعوا من كتابة أسامى

السور فى المصحف ومنعوا من العلامات على الأعشار والأخماس . والغرض من ذلک كلّه أن يمنعوا من أن يختلط بالقرآن ما ليس منه، فلو لم تكن التسمية من القرآن لما كتبوها بخطّ القرآن، ولما أجمعوا على كتابتها بخط القرآن علمنا أنّها من القرآن7.

واختاره أيضاً جلال الدين السيوطى مدّعياً تواتر الروايات الدالة عليه معنىً8.

وقال فى ردّ من أنكر تواتر جزئية البسملة من السورة: ويكفى فى تواترها إثباتها فى مصاحف الصحابة، فمن بعدهم بخطّ المصحف مع منعهم أن يكتب فى المصحف ما ليس منه، كأسماء السور وآمين والأعشار، فلو لم تكن قرآناً لما استجازوا إثباتها بخطّه من غير تمييز، لأنّ ذلک يحمل على اعتقادها قرآناً، فيكونون مغررين بالمسلمين حاملينلهم على اعتقاده ما ليس بقرآن قرآناً، وهذا ممّا لا يجوز اعتقاده فى الصحابة. فإن قيل: لعلها أُثبتت للفصل بين السور، أُجيب بأنّ هذا فيه تغرير ولا يجوز ارتكابه لمجرّد الفصل، ولو كانت له لكتبت بين براءة والأنفال9.

وقد أفرد عدّة من العلماء كتباً فى وجوب قراءة البسملة، مثل:

أ ـ كتاب البسملة لابن خزيمة (ت: 311 ه).

ب ـ كتاب الجهر بالبسملة للخطيب البغدادى (ت: 463ه).

ج ـ كتاب الجهر بالبسملة لأبى سعيد البوشنجى (ت: 536 ه).

د ـ كتاب الجهر بالبسملة لجلال الدين المحلى الشافعى (ت: 864 ه).

ه ـ كتاب فى «بسم اللّه الرحمن الرحيم» لعلى بن عبدالعزيز الدولابى من أصحاب الطبرى المؤرّخ.

و ـ وكتب الدارقطنى (ت: 385 ه) جزءاً فى البسملة وصححّه10.

وقال بعض الشافعية وحمزة: «إنها آية من فاتحة الكتاب خاصة دون غيرها» ونسب ذلک الى أحمد بن حنبل، كما نسب إليه القول الأوّل11.

وذهب جماعة: منهم مالک، وأبو عمرو، ويعقوب الى أنها آية فذّة وليست جزء من فاتحة الكتاب ولا من غيرها، وقد أُنزلت لبيان رؤوس السور تيمّناً، وللفصل بين السورتين، وهو مشهور بين الحنفية12. غير أن أكثر الحنفية ذهبوا الى وجوب قراءتها فى الصلاة قبل الفاتحة وذكر الزاهدى عن المجتبى أنّ وجوب القراءة فى كلّ ركعة هى الرواية الصحيحة عن أبيحنيفة13.

وفى هذه المسألة أقوال أُخر شاذة لا فائدة فى التعرّض لها، ولكن المهم بيان الدليل على المذهب الحقّ ويقع ذلک فى عدة أُمور:

1تفسير الآلوسى: ج1 ص39.

2تفسير الشوكانى : ج 1 ص17.

3تفسير ابن كثير ج 1 ص17.

4تفسير الخازن: ج1 ص13.

5تفسير الرازى : ج1 ص 195.

6في النسخة (من القرآن فإنّه غير مكتوب) خطأ مطبعى، والصواب ما اثبتناه.

7تفسير الرازى: ج1 ص197.

8الاتقان فى علوم القرآن 1: 212 .

9الاتقان فى علوم القرآن 1: 210 .

10أـ فى الدر المنثور: ج1 ص7، وأخرج سعيد بن منصور فى سننه، وابن‌خزيمة فى كتاب البسملة والبيهقى عن ابن عباس قال: استرق الشيطان من الناس... الحديث.

11تفسير الآلوسى: ج1 ص39.

12نفس المصدر السابق.

13المصدر السابق.

ادله جزئيه البسمله سوره الحمد

اتّفق المسلمون على أنّ البمسلة من سورة النمل، وعلى أنها من سورة الفاتحة عند علماء السلف من أهل مكّة وفقهاؤهم وقراؤهم ومنهم ابن كثير، وأهل الكوفة ومنهم عاصم والكسائى من القرّاء، وبعض الصحابة والتابعين من أهل المدينة، والشافعى فى الجديد وأتباعه والثورى وأحمد فى أحد قوليه، ومن المروى عنهم ذلك من الصحابة : ابن عبّاس وابن عمر وأبو هريرة، ومن التابعين سعيد بن جبير وعطاء والزهرى وابن المبارك. وقيل إنّ مذهب أبى حنيفة ومَن تابعه على أن التسمية ليست جزءاً

منها1. وروى عن أحمد أنها آية من الفاتحة دون غيرها2، وقد وردت أحاديث كثيرة من طريق أهل السنّة تدلّ صريحاً جزئية البسملة منها ما أخرجه مسلم عن أنس3 ، والدار قطنى عن أبى هريرة4 ، والبيهقى عن ابن عبّاس5، وهكذا ابن خزيمة6، ومستدرک الحاكم عن سعيد بن جبير7. وفى الكلّ ما يدلّ على أنّها من الفاتحة . هذا فضلاً عن الأحاديث المعتبرة المسندة إلى أهل البيت (عليهم السلام) بهذا الخصوص8.

1الكشاف: ج1 ص 24 ـ 26 ، تفسير البغوى 1 : 38 ، تفسير البيضاوى 1 : 17 ـ 18 .

2اُنظر : التفسير الكبير : ج1 ص 203 ، روح المعانى: ج1 ص 37 .

3صحيح مسلم : ج2 ص 12 (باب حجّة من قال البسملة آية).

4سنن الدارقطنى : ج1 ص 306 ح 1161 .

5السنن الكبرى: ج2 ص 45.

6صحيح ابن خزيمة : ج1 ص 248 و 250.

7المستدرک على الصحيحين : ج1 ص 231 ـ 232 و550 .

8للمزيد من الإطّلاع اُنظر: تفسير القرآن الكريم : السيّد مصطفى الخمينى ج1 ص46 ـ 47 .

ادله جزئیه البسمله للقرآن

1- احادیث اهل البیت (ع)

2- وهی الروایات الصحیحة المأثورة عن أهل البیت (علیهم السلام) الصریحة فی ذلک1 وبها الکفایة عن تجشّم أی دلیل آخر بعد أن جعلهم النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) عِدلاً للقرآن فی وجوب التمسّک بهم والرجوع إلیهم2.

3- أـ عن معاویة بن عمار قال: «قلت لأبی عبداللّه (علیه السلام) إذا قمت للصلاة أقرأ «بسم اللّه الرحمن الرحیم» فی فاتحة القرآن؟ قال: نعم. قلت: فإذا قرأت فاتحة القرآن أقرأ «بسم اللّه الرحمن الرحیم» مع السورة؟ قال: نعم»3.

4- ب ـ عن محمّد بن مسلم قال سألت أبا عبداللّه (علیه السلام) عن السبع المثانی والقرآن العظیم هی الفاتحة قال: نعم، قلت: بسم اللّه الرحمن الرحیم من السبع؟ قال: نعم هی أفضلهن4.

5- ج ـ وفی صحیحة ابن أبی اُذینة: «... فلما فرغ من التکبیر والافتتاح أوحی اللّه إلیه سمّ باسمی، فمن أجل ذلک جعل «بسم اللّه الرحمن الرحیم» فی أوّل السورة، ثم أوحی اللّه إلیه أن أحمدنی فلمّا قال: الحمدللّه ربّ العالمین ، قال النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) فی نفسه شکراً، فأوحی اللّه عزّوجل إلیه قطعت حمدی فسمّ باسمی، فمن أجل ذلک جعل فی الحمد: الرحمن الرحیم مرّتین، فلمّا بلغ ولا (الضالین) قال النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله): «الحمدللّه ربّ العالمین»5 شکراً، فأوحی اللّه إلیه: قطعت ذکری فسمّ باسمی، فمن أجل ذلک جعل بسم اللّه الرحمن الرحیم فی أوّل السورة، ثم أوحی اللّه عزّوجل إلیه: اقرأ یا محمّد نسبة ربّک

6- تبارک وتعالی: (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ* اللَّهُ الصَّمَدُ* لَمْ یَلِدْ وَلَمْ یُولَدْ* وَلَمْ یَکُن لَهُ کُفُواً أَحَدٌ)6.

7- ----------

8- 1وللإطّلاع على الروايات المذكورة يراجع فروع الكافى باب قراءة القرآن: 312، والاستبصار: ج 1 ص310 باب الجهر بالبسملة، وتهذيب الأحكام: ج 2 ص288 باب كيفية الصلاة وصفتها، ووسائل الشيعة: ج 6 ص57 أبواب القراءة ، باب أن البسملة آية من الفاتحة.

9- 2انظر : البيان فى تفسير القرآن : السيّد الخوئى : ص 18 و 398.

10-3الكافى: ج3 ص312 ح1 .

11-4تهذيب الأحكام : ج2 ص 289 ح1157 .

12-5هذا هو قرآن ويختلف عن التأمين «آمين» الذى يجعل سوره الفاتحة دعاءً لا بقراءتها بعنوان قرآن فقول آمين يجعل قول: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ... بمثابة الدعاء بما يبطل القراءة.

13-6الكافى: ج3 ص485 ح1.

2- احاديث اهل سنت

وقد دلّت على ذلک أيضاً روايات كثيرة من طرق أهل السُنّة نذكر جملة منها:

أ ـ ما رواه سمرة بن جندب (رضى اللّه عنه) وأخرجه البوشنجى : كان للنبىّ سكتتان سكتة إذا فرغ من القراءة وسكتة إذا قرأ (بسم اللّه الرحمن الرحيم)، فأنكر عمران بن حصين ذلک فكتبوا إلى أُبى ابن كعب فكتب أنّ صدق سمرة قال الدارقطنى والبيهقى رجال إسناده ثقات وصحّحه أبو شامة وغيره1.

ب ـ ما رواه أنس قال: بينا رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ذات يوم بين أظهرنا إذ أغفى إغفاءة ثم رفع رأسه متبسماً، فقلنا: ما أضحكک يا رسول اللّه؟ قال: «أُنزلت علىَّ آنفاً سورة» فقرأ: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ إِنَّا أَعْطَيْنَاکَ الْكَوْثَرَ...) »2.

ج ـ ما أخرجه الدارقطنی بسندٍ صحیح عن علیّ (علیه السلام) : أنّه سئل عن السبع المثانی3، فقال: (اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ)، فقیل له: إنّما هی ست آیات؟! فقال: «بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ» آیة4.

د ـ ما أخرجه الدارقطنی أیضاً بسند صحیح عن أبی هریرة قال: قال رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله): «إذا قرأتمالحمد فاقرأوا بسم اللّه الرحمن الرحیم فإنها أُمّ القرآن، وأُمّ الکتاب، والسبع المثانی. وبسم اللّه الرحمن الرحیم إحدی آیاتها»5.

ه ـ ما أخرجه ابن خزیمة والبیهقی بسند صحیح عن ابن عبّاس قال: «السبع المثانی فاتحة الکتاب. قیل: فأین السابعة؟ قال: (بسم اللّه الرحمن الرحیم)6.

و ـ ما أخرجه ابن خزیمة والبیهقی فی المعرفة بسند صحیح من طریق سعید بن جبیر عن ابن عبّاس قال: «استرق الشیطان من الناس أعظم آیة من القرآن: (بسم اللّه الرحمن الرحیم)7.

ز ـ ما رواه سعید بن جبیر عن ابن عبّاس قال: «کان المسلمون لا یعلمون انقضاء السورة حتی تنزل بسم اللّه الرحمن الرحیم، فإذا نزلت (بسم اللّه الرحمن الرحیم) علموا أنالسورة قد انقضت»8.

ح ـ ما رواه سعید عن ابن عبّاس: «إن النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) کان إذا جاءه جبرائیل فقرأ بسم اللّه الرحمن الرحیم علم أن ذلک سورة»9.

ط ـ ما رواه ابن جریح قال: «أخبرنی أبی أنّ سعید بن جبیر أخبره، قال: ولقد آتیناک سبعاً من المثانی قال: هی أُمّ القرآن، قال أبی: وقرأ علیَّ سعید بن جبیر بسم اللّه الرحمن الرحیم الآیة السابعة. قال سعید بن جبیر: وقرأها علیَّ ابن عبّاس کما قرأتها علیک، ثم قال: بسم اللّه الرحمن الرحیم الآیة السابعة. قال ابن عبّاس: فأخرجها اللّه لکم وما أخرجها لأحد قبلکم»10.

ی ـ ما رواه الشافعی فی الأُم والحاکم فی المستدرک بسندین والبیهقی فی سننه بثلاثة أسانید ، وتبعهم الرازی والسیوطی فی تفسیرهما ، عن أنس بن مالک واللفظ للحاکم: (إنّ أنس بن مالک قال: صلّی معاویة بالمدینة صلاة فجهرفیها بالقراءة، فقرأ فیها (بسم اللّه الرحمن الرحیم) لأُمّ القرآن ولم یقرأ : (بسم اللّه الرحمن الرحیم) للسورة التی بعدها حتّی قضی تلک القراءة، فلمّا سلّم ناداه من سمعه ذلک من المهاجرین والأنصار من کلّ مکان، یا معاویة! أسَرَقتَ الصلاة أم نسیت؟! فلمّا صلّی بعد ذلک قرأ: (بسم اللّه الرحمن الرحیم) للسورة التی بعد أُمّ القرآن وکبّر حین یهوی ساجداً . هذا حدیث صحیح علی شرط مسلم...».

قال الحاکم ـ أیضاً ـ وهو علّة لحدیث شعبة وغیره من قتادة علی علوّ قدره، یدلّس ویأخذ عن کلّ أحد وإن کان قد أدخل فی الصحیح حدیث قتادة، فإنّ فی ضدّه شواهد أحدها ما ذکرناه، ومنها ... ، ثمّ ذکر الأحادیث التی رواها فی قراءة البسملة والتی ذکرناها سابقاً .

وقد أیّد الذهبی قول الحاکم فی قتادة وقال : (فإنّ قتادة یدلّس) . وقال الرازی بعد ذکر الحدیث: وهذا الخبر یدلّ علی إجماع الصحابة رضی اللّه عنهم علی أنّه من القرآن ومن الفاتحة وعلی أنّ الأولی الجهر بها11 .

ک ـ روی الشافعی بسندین، والبیهقی بثلاثة أسانید عن عبداللّه بن عثمان بن خثیم عن إسماعیل بن عبید بن رفاعة عن أبیه : أنّ معاویة قَدِمَ المدینة فصلّی بهم فلم یقرأ (بسم اللّه الرحمن الرحیم) ولم یکبّر إذا خفض وإذا رفع، فناداه المهاجرون والأنصار حین سلّم : أی معاویة! أسَرَقتَ صلاتک؟! أین (بسم اللّه الرحمن الرحیم)؟ وأین التکبیر إذا خفضت وإذا رفعت؟ فصلّی بهم صلاة أُخری فقال: فیها ذلک الذی عابوا علیه12 .

ل ـ عن عبداللّه بن عبّاس قال : (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) آیة13 .

م ـ عن طلحة بن عبيداللّه قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله): «من ترک (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فقد ترک آية من كتاب اللّه»14.

ن ـ عن ابن عمر، قال: نزلت (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فی كل سورة15.

س ـ عن ابن عبّاس قال: كان النبیّ (صلّى اللّه عليه و آله) لا يعرف فصل السورة ـ وفی لفظ ـ خاتمة السورة حتى ينزل عليه (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) . زاد البزار والطبرانی: فإذا نزلت عرف أنّ السورة قد ختمت واستقبلت أو ابتدئت سورة أُخرى16.

ع ـ فی رواية ابن مسعود: كنّا لا نعلم فصل ما بين السورتين حتى تنزل: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).

ف ـ قال سعيد بن جبير: فی عهد النبیّ (صلّى اللّه عليه و آله) كانوا لا يعرفون انقضاء السورة حتى تنزل: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ، فإذا نزلت علموا أن قد انقضت السورة ونزلت أُخرى17.

ص ـ عن ابن عبّاس قال: سألت علیّ بن أبی طالب (عليهالسلام)، لِمَ لم تُكتب فی براءة (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)؟ قال: لأنّ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) أمان، وبراءة نزلت بالسيف18.

وليس بإزاء هذه الروايات إلاّ روايتان دلّتا على عدم جزئية البسملة للسورة ـ وهناک روايات أُخرى تنفی جزئية البسملة سيأتی الحديث عنها ـ :

إحداهما: رواية قتادة عن أنس بن مالک، قال : صليت مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) وأبی بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ (بسم اللّه الرحمن الرحيم)19.

ثانيتهما: ما رواه ابن عبداللّه بن مغفل يزيد بن عبداللّه، قال: «سمعنى أبى وأنا أقول: (بسم اللّه الرحمن الرحيم)، فقال: أى بنى ! إيّاک ـ قال: ولم أرَ من أصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) كان أبغض إليه حدثاً فى الإسلام منه ـ فإنى قد صليت مع رسولاللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ومع أبى بكروعمر، ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها، فلا تقلها، إذا أنت قرأت فقل: الحمد للّه ربّ العالمين»20.

والجواب عن الرواية الأُولى:

ـ مضافاً الى مخالفتها للروايات المأثورة عن رسولاللّه (صلّى اللّه عليه و آله) وأهل البيت (عليهم السلام) ـ أنها لا يمكن الاعتماد عليها من وجوه:

الوجه الأوّل: معارضتها بالروايات المتواترة معنىً، المنقولة عن طريق أهل السنة، ولا سيما أنّ جملة منها صحاح الأسانيد، فكيف يمكن تصديق هذه الرواية؟ مع شهادة ابن عباس،وأبى هريرة، وأُم سلمة على أنّ رسول اللّه كان يقرأ البسملة ويعدّها آية من الفاتحة، وأن ابن عمر كان يقول: «لِمَ كتبت فى المصحف إن لم تُقرأ!»21 وأنّ عليّاً (عليه السلام) كان يقول: «من ترک قراءتها فقد نقّص» وكان يقول: «هى تمام السبع المثانى»22.

الوجه الثانى: مخالفتها لما اشتهر بين المسلمين من قراءتها فى الصلاة، حتى أنّ معاوية تركها فى صلاته فى يوممن أيام خلافته، فقال له المسلمون: «أسرقتَ أم نسيت؟»23.

ومع هذا كيف يمكن التصديق بأن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) ومن بعده لم يقرأوها ؟ !

الوجه الثالث: مخالفتها لما استفاض نقله عن أنس نفسه:

أ ـ روى قتادة عن أنس: إنّ قراءة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) كانت مدّاً، ثم قرأ (بسم اللّه الرحمن الرحيم)، يمدّ بسم اللّه، ويمدّ الرحمن، ويمدّ الرحيم24.

ب ـ وروى شريک عن أنس قال: سمعت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) يجهر (ببسم اللّه الرحمن الرحيم). قال الحاكم: رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات25.

ج ـ وروى العسقلانى قال: صلّيت خلف المعتمر بن سليمان ما لا أُحصى صلاة الصبح والمغرب فكان يجهر (بسم اللّه الرحمن الرحيم) قبل فاتحة الكتاب وبعدها، وسمعت المعتمر يقول: ما آلو أن أقتدى بصلاة أبى، وقال أبى: ما آلو أن أقتدى بصلاة أنس بن مالک، وقال أنس بن مالک: ما آلو أنأقتدى بصلاة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله).

قال الحاكم : رواة هذا الحديث عن آخرهم ثقات26.

والجواب عن الرواية الثانية:

ـ وهى رواية ابن عبداللّه بن مغفل ـ يظهر ممّا تقدّم فى الجواب عن الرواية الأُولى، على أنّها تضمّنت ما يخالف ضرورة الإسلام، فإنه لا يشک أحد من المسلمين فى استحباب التسمية قبل الحمد والسورة، ولو بقصد التيمّن والتبرک، لا لأن البسملة جزء فكيف ينهى ابن مغفل عنها بدعوى أنّها حدث فى الإسلام ؟!.

1عمدة القارى ، العينى : ج5 ص288.

2صحيح مسلم باب حجة من قال: البسملة آية ج 2 ص12؛ وسنن النسائى باب افتتاح الصلاة: ج2 ص134، وسنن أبى داود باب الجهر بالبسملة : ج1 ص182 / ح784 .

3السبع : سميت بذلک لأنّها سبع آيات لا خلاف فيها، (المثانى) : سميت بذلک لأنّها تثنّى بقرائتها فى كلّ صلاة فرض ونفل. مجمع البيان : ص 87 ذيل الآية.

4سنن الدارقطنى ج1 ص311 ح1181، ورواه البيهقى فى سننه باب الدليل على أنّ البسملة آية تامة: ج2 ص45.

5سنن الدارقطنى ج1 ص310 ح1177 .

6نقله عن ابن خزيمة السيوطى فى الاتقان فى علوم القرآن: ج1 ص211 ح1071، السنن الكبرى البيهقى ج2 ص 45 ، ورواه الحاكم فى المستدرک: ج1 ص551 .

7المصدر السابق: 210/ 1063، ورواه البيهقى فيسننه باب افتتاح القراءة فى الصلاة: ج2 ص50 .

8مستدرک الحاكم: ج1 ص232 قال الحاكم: هذا صحيح على شرط الشيخين.

9مستدرک الحاكم: ج1 ص231.

10مستدرک الحاكم، فضائل القرآن: 550.

11الأُم للشافعى: ج1 ص 129 ـ 130 ؛ ومستدرک الحاكم وتلخيصه للذهبى : ج1 ص 233 ؛ وسنن البيهقى : ج2 ص 49 ـ 50 ؛ وتفسير الرازى : ج1 ص 198 ـ 199 ؛ والدر المنثور: ج1 ص 8 .

12الأُمّ للشافعی: ج1 ص 130 ؛ سنن البیهقی : ج2 ص 49 ـ 50 .

13الدر المنثور : ج1 ص 7 ، عن ابن الضریس.

14المصدر السابق، عن الثعلبی.

15المصدر السابق، عن الواحدی.

16سنن أبی داود، کتاب الصلاة، باب من جهر بها: ج1 ص183 ح788؛ وسنن البیهقی: ج2 ص43؛ ومستدرک الحاکم: ج1 ص232، وقال هذا حدیث صحیح ولم یخرجاه. وقال الذهبی: أما هذا فثابت؛ وراجع مجمع الزوائد للهیثمی: ج6 ص310؛ وفی الدر المنثور: ج1 ص7، عن الطبرانی والبیهقی.

17روایة ابن مسعود فی الدر المنثور: ج1 ص7، عن البیهقی فی شعب الإیمان. والواحدی وخبر سعید بن جبیر فیه عن أبی عبید ومصنف عبدالرزاق: ج2 ص 92 ح2617 .

18الدر المنثور: ج1 ص ، تفسیر سورة التوبة، قال: أخرج أبو الشیخ وابن مردویه عن ابن عبّاس .

19مسند أحمد: ج3 ص177 ، 273، 278؛ وصحیح مسلم باب حجة من لا یجهر بالبسملة: ج2 ص12، والسنن الکبری للنسائی باب ترک الجهر بالبسملة: ج1 ص315. وروی قریباً منه عن عبداللّه بن مغفل.

20مسند أحمد: ج4 ص85 ، ورواه الترمذی باختلاف یسیر فی باب ما جاء فی ترک الجهر بالبسملة : ج1 ص154 ح244 ، باب رقم 180 .

21السنن الكبرى للبيهقى : ج2 ص 43.

22الدر المنثور : ج1 ص 7.

23السنن الكبرى للبيهقى: ج2 ص 49.

24السنن الكبرى للبيهقى: ج2 ص46 باب افتتاح القراءة فى الصلاة ببسم اللّه، والمستدرک: ج1 ص233 حديث الجهر ببسم اللّه.

25المستدرک: ج1 ص233 .

26المستدرک ج 1 ص233 ـ 234.

3- سيره المسلمين

لقد استقرّت سيرة المسلمين على قراءة البسملة فى أوائل السور غير سورة براءة، وثبت بالتواتر أنّ رسولاللّه (صلّى اللّه عليه و آله) كان يقرأها، ولو لم تكن من القرآن للزم على الرسول الأكرم (صلّى اللّه عليه و آله) أن يصرح بذلک، فإن قراءته ـ وهو فى مقام البيان ـ ظاهرة فى أنّ جميع ما يقرأ قرآن، ولو لم يكن بعض ما يقرأ قرآناً ثم لم يصرح بذلک لكان ذلک منه إغراء بالجهل وهو قبيح، وفى ما يرجع الى الوحى الإلهى أشد قبحاً، ولو صرّح الرسول (صلّى اللّهعليه و آله) بذلک لنقل إلينا بالتواتر مع أنه لم ينقل حتى بالآحاد.

4 ـ مصاحف التابعين والصحابة:

ممّا لا ريب فيه أنّ مصاحف التابعين والصحابة ـ قبل جمع عثمان وبعده ـ كانت مشتملة على البسملة، ولو لم تكن من القرآن لما أثبتوها فى مصاحفهم، فإن الصحابة منعت أن يدرج فى المصحف ما ليس من القرآن، حتى أنّ بعض المتقدمين منعوا عن تنقيط المصحف وتشكيله. فإثبات البسملة فى مصاحفهم شهادة منهم بأنها من القرآن كسائر الآيات المتكرّرة فيه.

وما ذكرناه يبطل احتمال أنّ إثباتهم إياها كان للفصل بين السور. ويبطل هذه الدعوى أيضاً إثبات البسملة فى سورة الفاتحة، وعدم إثباتها فى أوّل سورة براءة. ولو كانت للفصل بين السور، لأثبتت فى الثانية، ولم تثبت فى الأُولى. وذلک يدلّنا قطعاً على أنّ البسملة آية منزلة فى الفاتحة دون سورة براءة.

ادله النقاه جزئيه البسمله وردودها

واستدلّ القائلون بأنّ البسملة ليست جزءاً من السورة بوجوه:

الوجه الاول:

إنّ طريق ثبوت القرآن ينحصر بالتواتر، فكل ما وقع النزاع فى ثبوته فهو ليس من القرآن، والبسملة مما وقع النزاع فيها.

والجواب :

أوّلاً: إنّ كون البسملة من القرآن ممّا تواتر معناه عن النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) كما تقدّم عن كثير من أهل العلم، وقد تواتر عن أهل البيت (عليهم السلام) أيضاً ولا فرق فى التواتر بين أن يكون عن النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) وبين أن يكون عن أهل بيته الطاهرين بعد أن ثبت وجوب اتّباعهم حسب حديث الثقلين وغيره ممّا اتّفق على صحّته.

وثانياً: إنّ ذهاب الأقل من الفقهاء الى عدم كون البسملة من القرآن لشبهة لا يضرّ بالتواتر، مع شهادة جمع كثير من الصحابة بكونها من القرآن، ودلالة الروايات المتواترة عليه معنىً.

وثالثاً: إنّه قد تواتر أنّ النبيّ (صلّى اللّه عليه و آله) قرأ البسملة حينما يقرأ سورة من القرآن وهو فى مقام البيان، ولميبين أنها ليست منه، وهذا يدل دلالة قطعية على أنّ البسملة من القرآن. نعم لا يثبت بهذا أنها جزء من السورة. ويكفى لإثباته ما تقدم من الروايات، فضلاً عما سواها من الأخبار الكثيرة المروية من الطريقين. والجزئية تثبت بخبر الواحد الصحيح، ولا دليل على لزوم التواتر فيها أيضاً.

الوجه الثانى:

ما أخرجه مسلم من حديث أبى هريرة قال: سمعت رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) يقول: قال اللّه تعالى : «قُسِّمَت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ولعبدى ما سأل: فإذا قال العبد: (اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ)، قال اللّه تعالى: حمدنى عبدى، وإذا قال: (الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، قال: أثنى علىَّ عبدى وإذا قال: (مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ)، قال اللّه تعالى: مجّدنى عبدى، وإذا قال العبد: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)، قال اللّه تعالى: هذا بينى وبين عبدى، ولعبدى ما سأل، فإذا قال: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلاَ الضَّآ لِّينَ)، قال: هذا لعبدى، ولعبدى ما سأل»1.

وتقريب الاستدلال فى هذه الرواية أنها تدل ـ بظاهرها ـ على أنّ ما بعد آية إياک نعبد وإياک نستعين يساوى ما قبلها فى العدد، ولو كانت البسملة جزءاً من الفاتحة لم يستقم معنى الرواية، وذلک: لأنّ سورة الفاتحة ـ كما عرفت ـ سبع آيات، فإن كانت البسملة جزءاً كان ما بعد آية:(إِيَّاکَ نَعْبُدُ وَإِيَّاکَ نَسْتَعِينُ) آيتين، ومعنى ذلک إنّما قبل هذه الآية ضعف ما بعدها، فالفاتحة لا تنقسم الى نصفين فى العدد.

والجواب عنه:

أوّلاً: إنّ الرواية مروية عن العلاء، وقد اختلف فيه بالتوثيق والتضعيف2.

وثانياً: أنّه لو تمّت دلالتها، فهى معارضة بالروايات الصحيحة المتقدّمة الدالة على أنّ الفاتحة سبع آيات، مع البسملة لا بدونها.

وثالثاً: أنّه لا دلالة فى الرواية على أنّ التقسيم بحسب الألفاظ، بل الظاهر أنه بحسب المعنى، فالمراد أنّ أجزاء الصلاة بين ما يرجع الى الرب وما يرجع الى العبد بحسب المدلول.

ورابعاً: أنّ هذا الحديث معارض بخبر ابن عبّاس مرفوعاًوفيه : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى فإذا قال العبد (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) قال اللّه تعالى: دعانى عبدى.. الحديث وهو طويل وقد اشتمل على البسمله. هذا مع أنّ أبا هريرة نفسه روى عن رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) الجهر بـ(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وكان هو يجهر بها ويقول: إنّى لأُشبهكم صلاةً برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) وهناک روايات أُخرى يرويها أبو هريرة: أنّ من ترک البسملة أفسد صلاته، وسنأتى على ذكرها إن شاء اللّه تعالى .

1صحيح مسلم: ج2 ص9 باب قراءة الفاتحة فى كلّ ركعة ، وسنن أبى داود ج1 ص89 ح821 باب من ترک القراءة فى صلاته؛ وسنن النسائى: ج2 ص 136 باب العمل فى افتتاح الصلاة .

2انظر ترجمته فى : تهذيب التهذيب: ج8 ص 166 / ترجمة رقم 336 .

الوجه الثالث: ما رواه ابو هريره:

«من أنّ سورة الكوثر ثلاث آيات1، وأنّ سورة الملک ثلاثون آية»2 فلو كانت البسملة جزءاً منها، لزاد عددها على ذلک.

والجواب :

ما روى من حديث أبى هريرة فيه اضطراب فإن بعضهم شکّ فى ذكر أبى هريرة فى الإسناد ولأنّ مداره على عبدالحميد بن جعفر عن نوح بن أبى بلال عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ولم يرفعه وذكر أبوبكر الحنفى وقال: لقيت نوحاً فحدّثنى به عن سعيد المقبرى عن أبى هريرة ولم يرفعه والاختلاف فى السند والوقف والرفع يوجب ضعفاً فيه، ولأنّه فى حدّ الآحاد وخبر الواحد لا يوجب العلم3. فرواية أبى هريرة ساقطة عن الاعتبار أو مؤوّلة بإرادة الآيات المختصّة، فإن البسملة مشتركة بين جميع السور، وهذا هو جواب روايته فى سورة الملک.

1ذكر صاحب كتاب بدائع الصنائع إنعقاد إجماع الفقهاء والقرّاء على ذلک ، يُنسب الحديث إلى النبىّ صلّى اللّه عليه و آله . انظر : بدائع الصنائع : أبو بكر الكاشانى ، ج1 ص 204.

2سنن الترمذی: ج4 ص 328 ح3053 فصل فی سنن الصلاة، باب ما جاء فی فضل سورة الملک؛ ومستدرک الحاکم : ج1 ص 565 ؛ وکنز العمّال: ج1 ص 593 و594 ح2705 ـ 2706 .

3بدائع الصنائع : ج1 ص 204.

وجوب قراءه البسمله فی الصلاه

والذی یطالع سیرة النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) وعمل الصحابة والتابعین والجیل الأوّل من الفقهاء یتجلی له بوضوح لزوم قراءة البسملة فی الصلاة. وفی ذلک روایات وأخبار عدیدة نقتصر علی أبرزها مثل:

أـ عن أُم سلمة قالت: إنّ النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) کان یقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ* الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ* إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَإِیَّاکَ نَسْتَعِینُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِیمَ* صِرَاطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَلاَ الضَّآ لِّینَ)1.

وفی روایة، سُئلت أُم سلمة عن قراءة رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله)، فقالت: کان یُقطِّع قراءته آیة آیة: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ* الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* مالِکِ یَوْمِ الدِّینِ* إِیَّاکَ نَعْبُدُ وَإِیَّاکَ نَسْتَعِینُ* اهْدِنَا الصِّرَاطَالْمُسْتَقِیمَ* صِرَاطَ الَّذِینَ أَنْعَمْتَ عَلَیْهِمْ غَیْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَیْهِمْ وَلاَ الضَّآ لِّینَ)2.

ب ـ عن ابن عباس قال: کان النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) یفتتح صلاته بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)3.

ج ـ عن جابر، قال: قال لی رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) کیف تقرأ إذا قمت الی الصلاة؟ قلت: اقرأ، الحمد للّه ربّ العالمین، قال: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)4.

د ـ عن نافع، أنّ ابن عمر كان إذا افتتح الصلاة يقرأ بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فى أُمّ القرآن وفى السورةالتى تليها. ويذكر أ نّه سمع ذلک من رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله)5.

ه ـ عن أبى هريرة أنّ النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) كان إذا قرأ وهو يأُمّ الناس، افتتح بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، قال أبو هريرة: هى آية من كتاب اللّه، اقرأوا إن شئتم فاتحة الكتاب فإنّها الآية السابعة6.

و ـ عن قتادة، قال: سُئل أنس بن مالک، كيف كانت قراءة رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله)؟ قال: كانت مدّاً ثم قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) يُمدّ: (بِسْمِ اللّهِ) ويمدّ (الرَّحْمنِ) ويُمدّ (الرَّحِيمِ)7.

ز ـ عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه (صلّى اللّه عليه وآله): إذا قرأتم (اَلْحَمْدُ لِلّهِ) فاقرأوا (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، إنّها أُمّ القرآن وأُمّ الكتاب والسبع المثانى، و(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) إحداها. وفى رواية أُخرى : أنّ النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) كان يقول: «(اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِينَ) سبع آيات، إحداهن :(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)... ويعدّه كالحديث السابق»8.

ح ـ عن أبى هريرة أيضاً قال: كنت مع النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) فى المسجد إذ دخل رجل يصلّى، فافتتح الصلاة وتعوّذ ثم قال: الحمدللّه رب العالمين فسمع النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) فقال له: يا رجل قطعت على نفسک الصلاة، أما علمت أنّ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) من الحمد؟ فمن تركها فقد ترک آية ومن ترک آية فقد أفسد عليه صلاته9.

وعلى هذا جرت أقوال الصحابة والتابعين والفقهاء.

أـ قال البيهقى، عن عبد خير قال : سئل علىّ (عليه السلام) عن السبع المثانى فقال: الحمدللّه، فقيل له إنّما هى ستّ آيات، فقال: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) آية10.

ب ـ وأخرج الثعلبى عن علىّ، أ نّه كان إذا افتتح السورة فى الصلاة يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وكان يقول: من ترک قراءتها، فقد نقّص، وكان يقول هى تمام السبع المثانى11.

ج ـ وجاءت عن ابن عباس روايات متعددة فى ذلک فى بعضها بيان وتأكيد على البعض الآخر، نذكر موجز روايتين منها:

1 ـ قال ابن جريح أخبرنى أبى أن سعيد بن جبير أخبره قال: (وَلَقَدْ آتَيْنَاکَ سَبْعاً مِنَ الْمَثَانِى) قال: هى أُم القرآن، قال أبى : وقرأ على سعيد بن جبير (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) الآية السابعة، قال سعيد بن جبير وقرأها على ابن عبّاس كما قرأتهاعليک ثمّ قال: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) الآية السابعة، قال ابن عبّاس : فأخرجها اللّه لكم وما أخرجها لأحدٍ قبلكم.

قال الحاكم: صحيح على شرط الشيخين، أى البخارى ومسلم فى صحيحيهما، وأيّده على ذلک الذهبى12.

2 ـ قال: إنّ السبع المثانى هى فاتحة الكتاب، وأ نّه قرأها بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) سبعاً، فسُئل الراوى هل أخبرک أنّه قال (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)آية من كتاب اللّه؟ قال: نعم، ثمّ قال: قرأها ابن عبّاس بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فى الركعتين معاً13.

د ـ عن نافع عن عبداللّه بن عمر، كان يفتتح أُم الكتاب بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)14، وأنّه كان إذا افتتح الصلاة كبّر ثم قرأ : (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ * اَلْحَمْدُ لِلّهِ)، فإذا فرغ قرأ(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، قال وكان يقول لم كتبت فى المصحف إن لم تقرأ؟!15.

ه ـ عن محمّد بن كعب القرظى : قال فاتحة الكتاب سبع آيات بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)16.

و ـ وقال البيهقى: (وروينا) الجهر بها عن فقهاء مكّة، عطاء وطاووس ومجاهد وسعيد بن جبير17.

ز ـ فی مصنف عبدالرزّاق، باب قراءة البسملة (... عن أُبی وآخرین من الصحابة والتابعین أنّهم کانوا یقرأونها)18.

وقد أجمع أتباع مدرسة أهل البیت (علیهم السلام) تبعاً لأئمّتهم فی ما یروون عن رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) علی أنّ البسملة آیة من کلّ سورة. وأنّ قراءتها واجبة فی الحمد والسورة فی کلّ صلاة. ویجب الجهر بها فی الجهریة19.

1مستدرک الحاکم وتلخیصه: ج2 ص232، ولفظه: یقرأ: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ* اَلْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعالَمِینَ) یقطعها حرفاً حرفاً. قال الحاکم: هذا حدیث صحیح علی شرط الشیخین ولم یخرجاه. وأیّده الذهبی فی تلخیصه والفخر الرازی، أخرجها بسندین فی تفسیره: ج1 ص19.

2مسند أحمد: ج6 ص302؛ وسنن أبی داود: ج 4 ص371، کتاب القراءات والحروف؛ وسنن البیهقی: ج2 ص44، وفی 53 منه بإیجاز. وأضاف السیوطی فی الدر المنثور ج1 ص7 وقال: أخرج أبو عبید وابن سعد فی الطبقات وابن أبی شیبة وابن خزیمة وابن الأنباری فی المصاحف والدارقطنی والخطیب وابن عبدالبرّ، کلاهما فی کتاب المسألة عن أُم سلمة... وفی آخره وعدّ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) آیة.

3سنن الترمذی: ج2 ص44، أبواب الصلاة، باب ما جاء فی الجهر بـ بسم اللّه الرحمن الرحیم؛ والدر المنثور: ج1 ص8، عن الدارقطنی وأبی داود البسملة: ج1 ص209 ح778، کتاب الصلاة، باب من جهر بها.

4فی الدر المنثور: ج1 ص8، عن الدارقطنی والبیهقی فی شعب الإیمان.

5سنن البيهقى: ج2 ص47؛ والسيوطى: ج1 ص8 عن الطبرانى فى الأوسط والدارقطنى والبيهقى واللفظ للسيوطى لإيجازه. وفى لفظ البيهقى: إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله كان إذا افتتح الصلاة يبدأ ببسم اللّه...

6 سنن البيهقى: ج2 ص47؛ وفى الدر المنثور: ج1 ص3 نقله عن الدارقطنى ـ أيضاً ـ .

7صحيح البخارى: ج6 ص112 كتاب فضائل القرآن، باب الترتيل فى القراءة؛ وسنن البيهقى: 2:43 باب افتتاح القراءة فى الصلاة بـ بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ والجهر بها إذا أجهر بالفاتحة.

8سنن البيهقى: ج2 ص45؛ وفى الدر المنثور: ج1 ص3، قال عن الحديث الأوّل: أخرج الدارقطنى وصحّحه، وقال عن الحديث الثانى: أخرج الطبرانى فى الأوسط وابن مردويه فى تفسيره. ونقل الأوّل بإيجاز، كلّ من الرازى فى تفسيره: ج1 ص196؛ والمتّقى فى كنز العمّال: ج1 ص560 / ح 2519 ، والسيوطى فى الاتقان: ج1 ص212/ 1076 .

9الدر المنثور: ج1 ص7 قال أخرجه الثعلبى...

10سنن البيهقى: ج2 ص45؛ والدر المنثور: ج1 ص3، قال: أخرج الدارقطنى والبيهقى بسند صحيح والاتقان: ج1 ص212 / 1072؛ وكنز العمّال: ج1 ص296 ـ 297 / ح 4048 .

11فى الدر المنثور: ج1 ص7، قال: أخرج الثعلبى عن علىّ الحديث، وكنز العمّال: ج1 ص 297 / 4049 .

12مستدرک الحاكم وتلخيصه: ج1ص550 ـ 551؛ وكنز العمّال: ج1 ص298 / ح 4054 و4055 .

13مستدرک الحاکم وتلخیصه: ج1 ص551؛ وسنن البیهقی: ج2 ص47 ـ 48. وباقی روایات ابن عبّاس، فقد أخرج الحاکم فی باب فضائل القرآن من مستدرک الحاکم : ج1 ص550 ـ 552، سبعاً منها. وقال السیوطی فی الإتقان: ج1 ص211 / 1071: أخرج ابن خزیمة والبیهقی بسند صحیح وفی الأُم للشافعی 1:107.

14سنن البیهقی: ج2 ص48 ـ 49.

15سنن البیهقی: ج2 ص44؛ والدر المنثور: ج1 ص7. وفی روایة أنّ العبادلة، أبناء عبّاس وعمر والزبیر کانوا یجهرون بها.

16الدر المنثور: ج1 ص8، عن أبی عبید.

17سنن البیهقی: ج2 ص50 .

18المصنف : ج 1 ص90 ـ 91 کتاب الصلاة، باب قراءة بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ.

19الخلاف للشیخ الطوسی : ج1 ص328 ؛ جواهر الکلام: ج9 ص296.

الجهر بالبسمله فی الصلاه

أـ عن أبی هریرة قال: قال رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله): علّمنی جبرائیل الصلاة فقام فکبّر لنا ثمّ قرأ: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) فیما یجهر به فی کلّ رکعة1.

ب ـ عن عائشة، أنّ رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) کان یجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)2.

ج ـ عن علیّ بن أبی طالب، قال: کان النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) یجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) فی السورتین جمیعاً3 .

د ـ عن أبی الطفیل، قال: سمعتُ علیّ بن أبی طالب وعمّاراً یقولان إنّ رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) کان یجهر فی المکتوباتبـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) فی فاتحة الکتاب4.

ه ـ عن أبی هریرة قال: کان رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) یجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) فیالصلاة، فترک الناس ذلک5.

ز ـ عن أنس بن مالک، قال: سمعت رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) یجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)6.

ز ـ عن أبی الطفیل قال: سمعت رسول اللّه (صلّی اللّه علیه و آله) یجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)7.

ح ـ عن ابن عمر، قال صلّیتُ خلف النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) وأبی بکر وعمر فکانوا یجهرون بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ)8.

ط ـ عن محمّد بن أبی السری العسقلانی، قال: صلّیتُ خلف المعتمر بن سلیمان مالا أُحصی صلاة الصبح والمغرب، فکان یجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ) قبل فاتحة الکتاب وبعدها. وسمعت المعتمر یقول: ما آلوا أن أقتدی بصلاة أبی، وقال أبی: ما آلو أن أقتدی بصلاة أنس بن مالک، وقال أنس بن مالک: ما آلو أن أقتدی بصلاة رسولاللّه (صلّی اللّه علیه و آله)9.

ی ـ روی الحاکم عن أنس قال: صلّیتُ خلف النبیّ (صلّی اللّه علیه و آله) وخلف أبی بکر وخلف عمر وخلف عثمان وخلف علیّ فکلّهم کانوا یجهرون بقراءة (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِیمِ).

قال الحاكم: (إنّما ذكرت هذا الحديث شاهداً لما تقدّمه، ففى هذه الأخبار التى ذكرناها معارضة لحديث قتادة الذى يرويه أئمّتنا عنه، وقد بقى فى الباب عن أمير المؤمنين عثمان وعلىّ) وذكر أسماء جمع من الصحابة ترک إيراد حديثهم وقال: (كلّها مخرجة عندى إيثاراً للتخفيف...)10.

وبالإضافة الى الروايات السابقة التى رويت عمن صلّى خلف النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) والخلفاء وأجهروا بالبسملة، فى ما يأتى روايات عمّن صلّى خلف بعض الخلفاء ورآهم يجهرون بالبسملة:

1 ـ عمر بن الخطاب:

روى عبدالرحمن بن أبزى قال: صلّيتُ خلف عمر بن الخطاب فجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)11.

2 ـ الإمام علىّ بن أبى طالب:

روى الشعبى قال: رأيت علىّ بن أبى طالب وصلّيتُ وراءه فسمعته يجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).

وفى تفسير الرازى بسنده أنّ الإمام عليّاً كان إذا افتتح السورة فى الصلاة يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وكان يقول: «من ترک قراءتها فقد نقّص»12.

3 ـ عبداللّه بن الزبير:

روى الأزرق بن قيس وقال: صلّيتُ خلف ابن الزبير فقرأ فجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ).

قال البيهقى: وروينا عن أبى هريرة بإسناد صحيح عنه13.

ويتبع هذا الباب ما جاء فى تفسير ابن كثير، قال: وروى النسائى فى سننه وابن خزيمة وابن حبّان فى صحيحيهما والحاكم فيمستدركه عن أبى هريرة أ نّه صلّى فجهر بقراءته بالبسملة. وقال بعد أن فرغ إنّى لأشبهكم صلاةً برسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) وصحّحه الدارقطنى والخطيب والبيهقى وغيرهم14.

وروى الدارقطنى فى سننه عن يحيى بن حمزة قال: صلّى بنا المهدى المغرب فجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، قال: فقلت: يا أمير المؤمنين ما هذا؟ فقال: حدّثنى أبى عن أبيه عن جدّه عن ابن عبّاس: إنّ النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) جهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ). قال: فقلت: نؤثره عنک ؟

قال: نعم15.

وإضافة الى ذلک روى البيهقى عن ابن عباس أ نّ النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) كان يستفتح القراءة بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فى الصلاة، يعنى كان يجهر بها. قال: وله شواهد عن ابن عباس ذكرناها فى الخلافيات16.

ويؤيّد قول البيهقى (يستفتح القراءة... يعنى كان يجهر بها)، ما رواه هو والذهبى عن ابن شهاب أ نّه قال: من سنّة الصلاة أن يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، ثمّ فاتحة الكتاب، ثمّ يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، ثم يقرأ سورة، فكان ابن شهاب يقرأ أحياناً بسورة مع فاتحة الكتاب يفتتح كلّ سورة منها بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، وكان يقول أوّل من قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حيّياً17.

فإنّ ابن شهاب لما قال: (يفتتح كلّ سورة منها بـ «بسم اللّه...» وأوّل من قرأ بسم اللّه... سرّاً بالمدينة عمرو)، جعل (يفتتح كل سورة) مقابل (قرأ سرّاً).

وبناءً على هذا، كلّ ما جاء فى الحديث: يفتتح أو يستفتح القراءة بالبسملة، يعنى يقرأُها جهراً مثل الرواية الآتية:

عن بكر بن عبداللّه قال: كان ابن الزبير يستفتح القراءة فى الصلاة بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ويقول ما يمنعهم منها إلاّ الكبر18.

1فى الدر المنثور: ج1 ص7، قال أخرجه الدارقطنى، وعلى هذه الرواية يحمل ما رواه الدارقطنى عن النعمان بن بشير، قال: قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله «أ مَّنى جبرائيل (عليه السلام) عند الكعبة فجهر بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)».

2فى الدر المنثور: ج 1 ص8، قال: أخرج الدارقطنى عن عائشة. وفى الثانية عن علىّ.

3المصدر السابق.

4فى الدر المنثور: ج1 ص8، قال: أخرج البزّاز والدارقطنى والبيهقى فى شعب الإيمان من طريق أبى الطفيل.

5سنن البيهقى: ج 2 ص47؛ ومستدرک الحاکم: ج1 ص232؛ والدر المنثور: ج1 ص8 عنهما وعن الدارقطنى.

6فى الدر المنثور: ج1 ص 8 ، قال: أخرج الطبرانى والدارقطنى والبيهقى فى شعب الإيمان عن طريق أبى الطفيل والدار قطنى، والحاكم.

7فيالدر المنثور 1:8، قال: أخرج الطبرانى والدارقطنى والبيهقى فى شعب الإيمان عن طريق أبى الطفيل ، مستدرک الحاكم: ج1 ص 233 ، وقال: رواة الحديث عن آخرهم ثقات ، وأيّده الذهبى فى تلخيصه .

8الدر المنثور : ج1 ص 8 عن الدار قطنى.

9مستدرک الحاکم وتلخیصه: ج1 ص234، وقال الحاکم: رواة هذا الحدیث عن آخرهم ثقات، وأ یّده الذهبی.

10مستدرک الحاکم: ج1 ص234، وکذّب الخبر الذهبی فی تلخیصهاعتباطاً دون أن یذکر للحدیث علّة من ضعف السند وما شابهه. وفی الباب عن الحکم بن عمیر أو عمرو الثمالی، وکان بدریّاً، أنّه صلّی خلف النبیّ صلّی اللّه علیه و آله صلاة اللیل والغداة والجمعة فأجهر بالبسملة. رواه عنه بترجمة الحکم فی أُسد الغابة ج 2 ص37 .

11سنن البیهقی: ج 2 ص48.

12المصدر السابق: ج2 ص49؛ وفی تفسیر الرازی : ج1 ص196.

13المصدر السابق: ج2 ص49.

14تفسیر ابن کثیر: ج1 ص 18 فضل البسملة.

15سنن الدارقطنی : ج1 ص203 و 204.

16سنن البیهقی : ج2 ص47، وقال فی کشف الظنون: 721. وخلافیات البیهقی جمع فیه المسائل الخلافیة بین الشافعی وأبی حنیفة. ورواه الشافی فی الأُم: ج1 ص107، الی قوله: یفتتح القراءة.

17سنن البیهقی: ج2 ص50 ؛ وتذکرة الحفاظ: ج 1 ص110؛ والدر المنثور: ج 1 ص8. وقول ابن شهاب من سنّة الصلاة، أی: من سنّة رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله فی الصلاة.

18سنن البيهقى : ج2 ص49.

معاويه منشاء الخلاف فى القضيه

مع كلّ تلكم الروايات الصحيحة والموثقة والصريحة بأنّ رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) والخلفاء وجمع من الصحابة والتابعين أجهروا بقراءة البسملة فى الصلاة وقالوا إنّها جزء من الحمد، وأمروا بقراءتها الى زمن فقهاء الحرمين، نجد فى كتب صحاح الحديث روايات تناقض الروايات المتواترة السابقة مثل رواية مسلم فى صحيحه والنسائى فى سننه وأحمد فى مسنده عن قتادة عن أنس بن مالک، قال: صلّيت مع رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) وأبى بكر وعمر وعثمان فلم أسمع أحداً منهم يقرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)1.

ومثل ما رواه الثلاثة ـ أيضاً ـ :

عن أنس أنه قال: صليت خلف النبىّ (صلّى اللّه عليه و آله) وأبى بكر وعمر وعثمان فكانوا يستفتحون بالحمد للّه ربّ العالمين لا يذكرون (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) فيأوّل قراءة، ولا فى آخرها2.

وما رواه الترمذى فى سننه وأحمد فى مسنده عن يزيد بن عبداللّه، قال: سمعنى أبى وأنا أقول (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، فقال أى بنى محدّث إيّاک والحدث. قال: ولم أرَ أحداً من أصحاب رسول اللّه (صلّى اللّه عليه و آله) كان أبغض إليه الحدث فى الإسلام ـ يعنى منه ـ وقال : وقد صلّيت مع النبى (صلّى اللّه عليه و آله) ومع أبى بكر وعمر ومع عثمان فلم أسمع أحداً منهم يقولها فلا تقلها. إذا أنت صلّيت فقل: الحمدللّه ربّ العالمين3.

وعبداللّه المذكور هو الصحابى عبداللّه بن مغفل المزنى سكن المدينة ثم بعثه عمر عاشر عشرة الى البصرة ليفقّهوا الناس (ت: 59 أو 60 ه) فى البصرة أيّام ولاية ابن زياد ترجمته فى الاستيعاب وأُسد الغابة والإصابة وابنه الراوى عنه مجهول الحال عندنا.

من الطبيعى أن يؤدى تناقض الروايات الآنفة فى شأن البسملة الى اختلاف مدرسة الخلفاء فى وجوب قراءة البسملة أو عدمه، وفى الجهر بها أو عدمه. فقد قال الشافعى: إنّها آية من أوّل سورة الفاتحة ويجب قراءتها معها.

وقال مالک والأوزاعى: إنّها ليست من القرآن ولا تقرأ لا سرّاً ولا جهراً إلاّ فى قيام شهر رمضان.

وقال أبو حنيفة: تقرأ ويسرّ بها، ولم يقل: إنّها آية من السورة أم لا. قال يعلى: سألت محمّد ابن الحسن عن (بِسْمِ اللّهِ...) فقال ما بين الدفّتين قرآن، قال: قلت فلم تسرّه ـ أى تقرأُه سرّاً ـ قال فلم يجبنى4.

وفى هذه الأحاديث التى رويت مناقضة لروايات وجوب قراءة البسملة علل تكشف عن عدم صحّتها. وقد أفاض القول فى دراية أحاديث البسملة كل من البيهقى فى سننه والحاكم فى مستدركه والرازى فى تفسيره كل واحد منهم تحدث بأُسلوبه الخاص به. وأشار إليها الذهبى فى تلخيص المستدرک. وأقام الشافعى الدليل على ما اختاره فى كتاب الأُم.

1صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجّة من قال لا يجهر بالبسملة ص12؛ وسنن النسائى، باب ترک الجهر بالبسملة من كتاب افتتاح الصلاة : ج2 ص133 ؛ ومسند أحمد : ج3 ص177 و273 ما أُسند عن أنس بن مالک .

2صحيح مسلم، كتاب الصلاة، باب حجة من قال لا يجهر بالبسملة ص12 ؛ وسنن النسائى ج2 ص131، كتاب افتتاح الصلاة؛ ومسند أحمد : ج3 ص203 و205 و223 و255 و273 و278 و286 و289 ما أُسند عن أنس مالک .

3راجع مسند أحمد : ج4 ص85؛ وسنن الترمذى: ج1 ص154 ـ 155/ ح244؛ والمصنف لعبدالرزّاق : ج2 ص88 / ح2600 .

4راجع أقوال العلماء المذكورين فى بحوث من تفسير الرازى : ج1 ص194 .

الصلاه التى لم يقرأ فيها معاويه البسمله

قال عبداللّه بن أبى بكر بن حفص بن عمر بن سعد: أنّ معاوية صلّى بالمدينة للناس العتمة1، فلم يقرأ(بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)، فلمّا انصرف ناداه من سمع ذلک من المهاجرين والأنصار، فقالوا: يا معاوية أسرقت الصلاة أم نسيت؟ أين (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)... الحديث2.

إنّ هذا الخبر يوضّح لنا ما غمض من بعض الروايات التى سبق إيرادها، منها قول ابن الزبير: (ما يمنعهم منها إلاّ الكبر).

وقول ابن شهاب (أوّل من قرأ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) سرّاً بالمدينة عمرو بن سعيد بن العاص وكان رجلاً حيياً)3.

لست أدرى ممّ حياؤه فى الجهر بالبسملة فيالصلاة الجهرية التى يقرأ فيها الحمد والسورة جهراً؟ لعلّه الحياء من معاوية وعصبة الأُمويين أن يجهر بها مع ما بدر من معاوية من عدم قراءتها والحياء من المهاجرين والأنصار أن يترک قراءتها.

ومنها قول ابن عبّاس كما نقله السيوطى فى الإتقان، قال: أخرج ابن خزيمة والبيهقى فى المعرفة بسند صحيح من طريق سعيد بن جبير عن ابن عبّاس قال: استرق الشيطان من الناس أعظم آية من القرآن: (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)4.

وفى لفظ البيهقى فى السنن: أنّ الشيطان استرق أهل القرآن أعظم آية فى القرآن5.

وقال يحيى بن جعدة: قد اختلس الشيطان من الأئمة آية (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ)6.

وكان الزهرى يفتتح بـ (بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ) ويقول آية من كتاب اللّه تعالى تركها الناس7.

يقصدون من سرقة الشيطان البسملة واختلاسه إيّاها، ترک الناس إيّاها فيالصلاة. إذا جمعنا الروايات فى البسملة وأخبارها، بعضها الى بعض، نرى فيها مصداق قول ابن عباس كالآتى:

كان المسلمون فى الحرمين الشريفين مذ عصر الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) حتى خلافة معاوية يقرأون البسملة مع السور، كما يكتبونها كذلک فى المصاحف، وكان معاوية لا يقرأُها مع السورة فى الصلاة وهو خليفة المسلمين بالشام، فلمّا جاء الى المدينة وأمَّ المهاجرين والأنصار بمسجد الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) تركها فى الصلاة على عادته، فناداه من سمعه من المهاجرين والأنصار من كلّ مكان أَسَرَقتَ الصلاة أَمْ نسيت؟ فلما صلّى بعد ذلک قرأ البسملة للسورة وكان ذلک فى المدينة، ويظهر من استعراض الأخبار أنّه عاد الى تركها فى صلاته بالشام وتبعه على ذلک الخلفاء من آل أُمية من بعده.

ويقول ابن الزبير فى وصف فعلهم: (ما يمنعهم إلاّ الكبر)، ويقول ابن عمر محتجّاً عليهم (لِمَ كُتبت فى المصحف إن لم تقرأ)8؟!

واستمرّ على قراءتها أهل الحرمين فلمّا ولى عمرو بن سعيد بن العاص الأُموى والى الحرمين، كان أوّل من قرأها سرّاً فى المدينة، راعى فى قراءته كرامة معاوية من جانب ورأى المهاجرين والأنصار والتابعين من جانب آخر. ثم قويت شوكة الأُمويين بعد قتل منافسهم ابن الزبير بمكّة. ورويت بعض الأحاديث تأييداً لمعاوية وصوناً لكرامته.

واختلف المسلمون فى مدرسة الخلفاء بعد ذلک، فمنهم مَن يقرأُها، ومنهم من اتّبع سنّة معاوية وترک قراءتها سواء من كان منهم فى الحرمين الشريفين أمْ فى غيرها.

_____

1عتمة (الليل : ظلامه، ظلام أوّله بعد زوال نور الشفق، يقصد أنّه صلّى صلاة المغرب وهى جهرية فلم يقرأ بها البسملة).

2المصنف لعبدالرزّاق : ج2 ص92 ح2618 ، سنن الدارقطنى ج1 ص308 ـ 309 / ح1174 .

3السنن الكبرى: ج2 ص 50؛ وتذكرة الحفاظ: ج1 ص110 وحذف الذهبى جملة: وكان رجلاً حيياً.

4الإتقان: ج1 ص210 / ح1063، وقال فى الدر المنثور: ج1 ص7 وأخرج سعيد بن منصور فى سننه وابن خزيمة فى كتاب البسملة والبيهقى عن ابن عبّاس ... الحديث.

5سنن البيهقى : ج2 ص50 ؛ وراجع قول مجاهد فى مصنف عبدالرزّاق: ج2 ص91 .

6المصنف لعبد الرزّاق: ج2 ص91 / ح2615.

7وكان يقول: من سنّة الصلاة أن يقرأ «بسم اللّه الرحمن الرحيم» ثم فاتحة الكتاب ثم «بسم اللّه الرحمن الرحيم» ثم سورة. تذكرة الحفّاظ: ج1 ص110؛ ومصنف عبدالرزّاق: ج2 ص91 / ح2612 .

8السنن الكبرى للبيهقى ج2 ص44 .

خلاصه البحث

وهكذا عرفنا أنّ البسملة آية وجزء من كل سورة، وإيرادها فى الصلاة فى أوّل الحمد والسورة واجب، وبنحو الجهر فى الصلاة الجهرية، وعلى هذا جرت سيرة الرسول (صلّى اللّه عليه و آله) والصحابة، وأنّ منشأ الخلاف فى هذه المسألة هو معاوية بن أبى سفيان حينما كان يصلّى فى الشام بلا بسملة، وقد صلّى فى المدينة أيضاً ذات مرّة بلا بسملة، فأنكر عليه المسلمون بقولهم: أسَرَقتَ الصلاة أمْ نسيت؟

وإنكارهم هذا خير دليل على ثبوت سيرة المسلمين فى الصدر الأوّل على جزئية البسملة بلا ريب ولا تردّد، وأنّ معاوية هو منشأ الخلاف فيه.

المصادر

1 ـ أسد الغابة لابن الأثير ، علىّ بن محمّد بن محمّد الشيبانى (ابن الأثير) المتوفى (630 ه)، دار الكتاب العربى ـ بيروت .

2 ـ الاتقان فى علوم القرآن ، جلال الدين السيوطى المتوفى (911 ه)، دار الفكر ـ بيروت ط 1 (1416 ه).

3 ـ الاستبصار ، محمّد بن الحسن بن علىّ الطوسى المتوفى (460 ه) ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ط 4 (1363 ش) .

4 ـ البيان فى تفسير القرآن ، السيّد أبو القاسم الخوئى المتوفى (1413 ه)، دار الزهراء (عليها السلام) ـ بيروت ط 4 .

5 ـ بدائع الصنائع ، علاء الدين أبى بكر بن مسعود الكاشانى الحنفى المتوفى (587 ه)، المكتبة الحبيبية ـ باكستان ط 1 (1409 ه).

6 ـ تذكرة الحفّاظ ، محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبى المتوفى (748 ه)، دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

7 ـ تفسير البغوى ، البغوى المتوفى (510 ه)، دار المعرفة ـ بيروت .

8 ـ تفسير البيضاوى ، البيضاوى المتوفى (682 ه)، دار الفكر ـ بيروت .

9 ـ تفسير الخازن (لباب التأويل فى معانى التنزيل) ، علاء الدين علىّ بن محمّد البغدادى الخازن المتوفى (741 ه وقيل 725 ه)، دار الفكر ـ بيروت .

10 ـ تفسير الشوكانى (فتح القدير)، محمّد بن على بن محمّد الشوكانى المتوفى (1250 ه)، عالم الكتب .

11 ـ تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير) ، إسماعيل بن كثير الدمشقى المتوفى (774 ه) دار المعرفة ـ بيروت ط سنة (1412ه) .

12 ـ تفسير القرآن الكريم ، مصطفى روح اللّه الخمينى المتوفى (1398 ه)، مؤسسة آثار الإمام الخمينى إيران ط سنة (1418ه).

13 ـ تهذيب الأحكام ، محمّد بن الحسن بن علىّ الطوسى المتوفى (460 ه)، دار الكتب الإسلامية ط 4 (1363 ش) .

14 ـ تهذيب التهذيب ، أحمد بن علىّ بن حجر العسقلانى المتوفّى (852 ه)، دار الفكر ـ بيروت ط 1 (1404 ه).

15 ـ التفسير الكبير (تفسير الرازى) ، الفخر الرازى محمّد بن عمر بن الحسن الرازى المتوفى (606 ه)، دار إحياء التراث العربى بيروت ط 3 .

16 ـ الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، جلال الدين السيوطى عبدالرحمن بن أبى بكر المتوفى (911 ه)، دار المعرفة ـ بيروت ط 1 .

17 ـ سنن أبى داود ، سليمان بن الأشعث السجستانى المتوفى (275 ه)، دار الفكر ـ بيروت ط 1 (1410 ه).

18 ـ سنن الترمذى ، محمّد بن عيسى بن سورة الترمذى المتوفى (279 ه)، دار الفكر ـ بيروت ط 3 (1403 ه).

19 ـ سنن الدار القطنى ، علىّ بن عمر الدارقطنى المتوفى (385 ه)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط 1 (1417 ه).

20 ـ سنن النسائى ، أحمد بن شعيب النسائى المتوفّى (303ه)، دار الفكر ـ بيروت ط 1 (1348 ه).

21 ـ السنن الكبرى للبيهقى، أحمد بن الحسين بن على البيهقى المتوفى (458 ه)، دار الفكر ـ بيروت .

22 ـ السنن الكبرى للنسائى ، أحمد بن شعيب النسائى المتوفى (303 ه)، دار الكتب العلمية ـ بيروت ط 1 (1411ه) .

23 ـ روح المعانى (تفسير الآلوسى) ، شهاب الدين السيّد محمود الآلوسى البغدادى المتوفى (1270 ه)، دار إحياء التراث العربى ـ بيروت ط 4 (1405 ه).

24 ـ صحيح ابن خزيمة ، محمّد بن إسحاق بن خزيمة المتوفى (311 ه)، المكتب الإسلامى ط 2 (1412 ه).

25 ـ صحيح البخارى ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم البخارى المتوفى (256 ه)، دار الفكر ـ بيروت ط سنة (1401 ه).

26 ـ صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج ابن مسلم النيسابورى المتوفى (261 ه)، دار الفكر ـ بيروت .

27 ـ عمدة القارىٔ ، العينى المتوفى (855 ه) ، دار إحياء التراث العربى ـ بيروت .

28 ـ كتاب الأُمّ ، محمّد ابن إدريس الشافعى المتوفى (204ه)، دار الفكر ـ بيروت ط 2 (1403 ه).

29 ـ كشف الظنون ، حاجى خليفة مصطفى ابن عبداللّه المتوفّى (1067 ه)، دار الفكر ـ بيروت ط (1402 ه).

30 ـ كنز العمّال ، علىّ المتقى بن حسام الدين الهندى المتوفى (975 ه)، مؤسسة الرسالة ـ بيروت ط (1409 ه).

31 ـ الكافى ، محمّد بن يعقوب الكلينى المتوفى (328 ه ـ وقيل 329 ه) ، دار الكتب الإسلامية ـ طهران ط 5 (1363 ش) .

32 ـ الكشاف عن حقائق وغوامض التنزيل ، جار اللّه محمود بن عمر الزمخشرى المتوفى (538 ه)، مطبعة مصطفى الحلبى وأولاده ـ مصر ط سنة (1385) ه .

33 ـ المستدرک على الصحيحين وبذيله، أبو عبداللّه الحاكم النيسابورى المتوفى (405 ه) والذهبى محمّد بن أحمد بن عثمان المتوفى (748 ه) .

34 ـ المصنّف للصنعانی ، عبدالرزّاق بن همّام الصنعانی المتوفی (211 ه) ، منشورات المجلس العلمی تحقیق حبیب الأعظمی

.

35 ـ مجمع الزوائد ، علیّ بن أبی بکر الهیثمی المتوفی (807ه) ، الدار الکتب العلمیة ـ بیروت ط (1408 ه) .

36 ـ مسند أحمد ، أحمد بن حنبل المتوفی (241 ه) ، دار صدار ـ بیروت .

37 ـ معالم المدرستین ، السیّد مرتضی العسکری المتوفی (1428 ه).

38 ـ وسائل الشیعة ، محمّد بن الحسن الحرّ العاملی المتوفی (1104 ه)، مؤسسة آل البیت (علیهم السلام) ـ قم ط2

(1414ه) .

_____